فتح النشر

شرح

المقولات العشر

تأليف

عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الإسكندراني

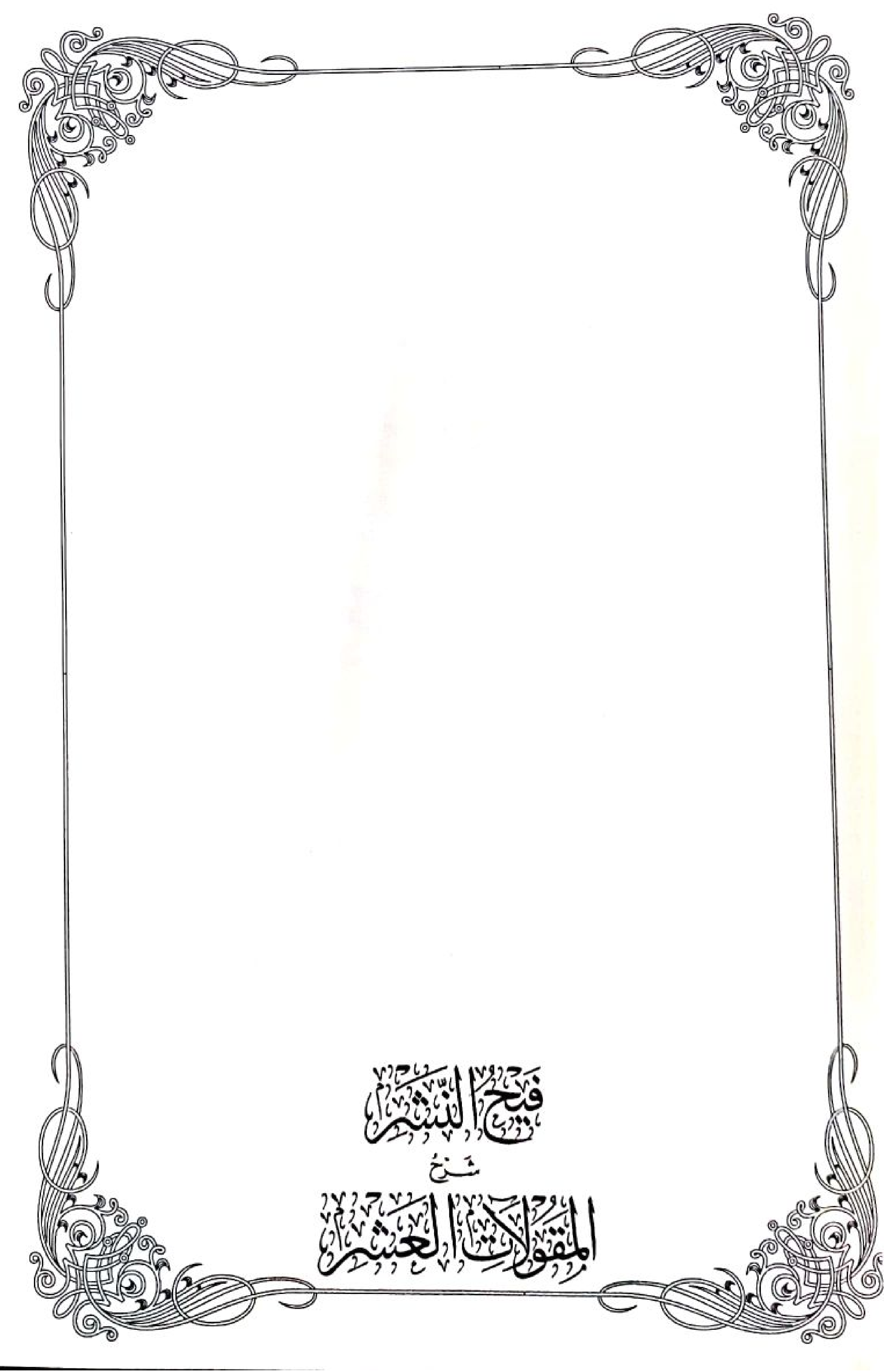
عُني بنشرها

الطبيب محمد جميل الخاني

تلميذ المؤلف

دار المقتبس





فتح النشر

شرح

المقولات العشر

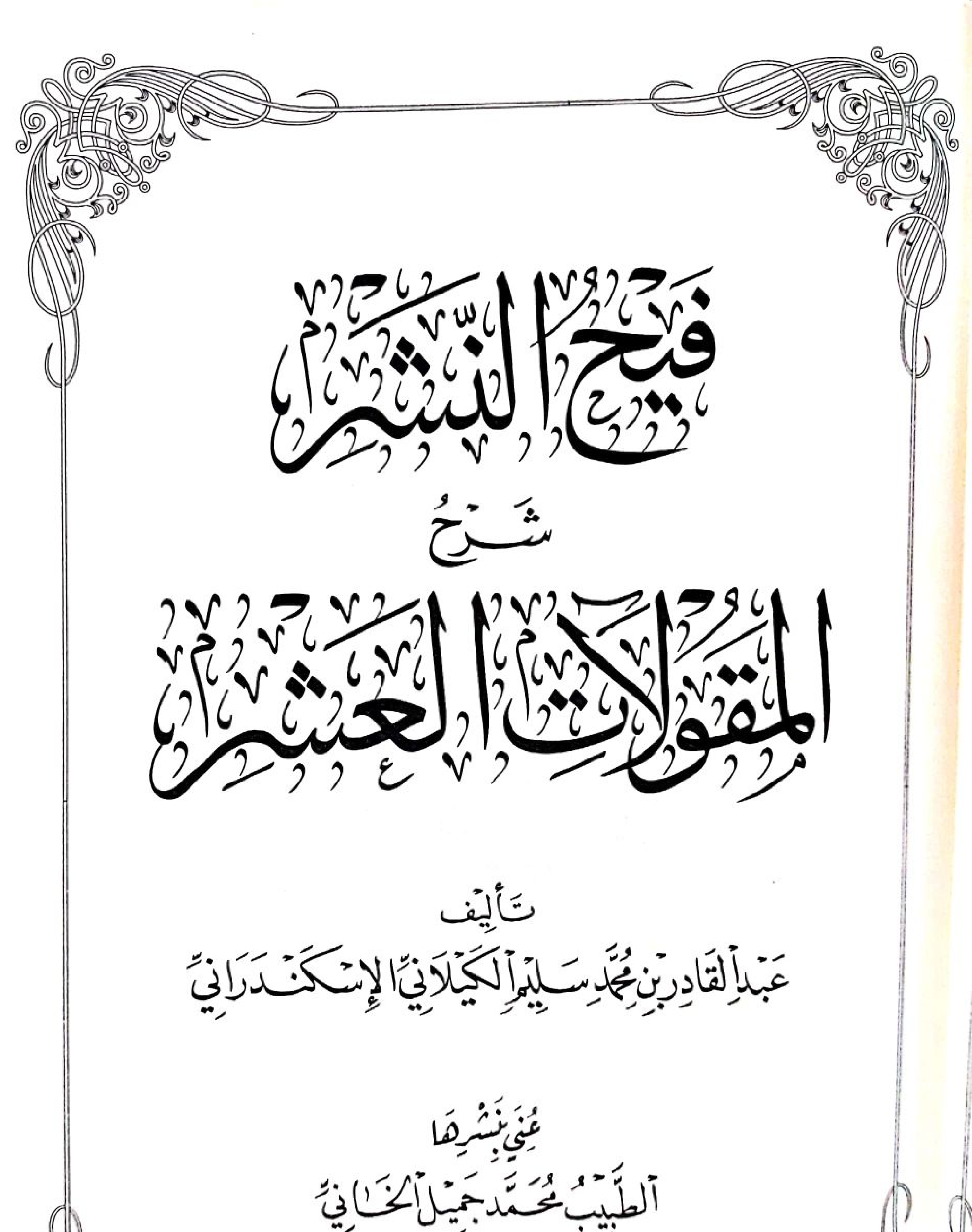


دار المقتبس

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: (١٤/٦٧٥٩)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م



فيح النشر

شرح

المقولات العشر

تأليف

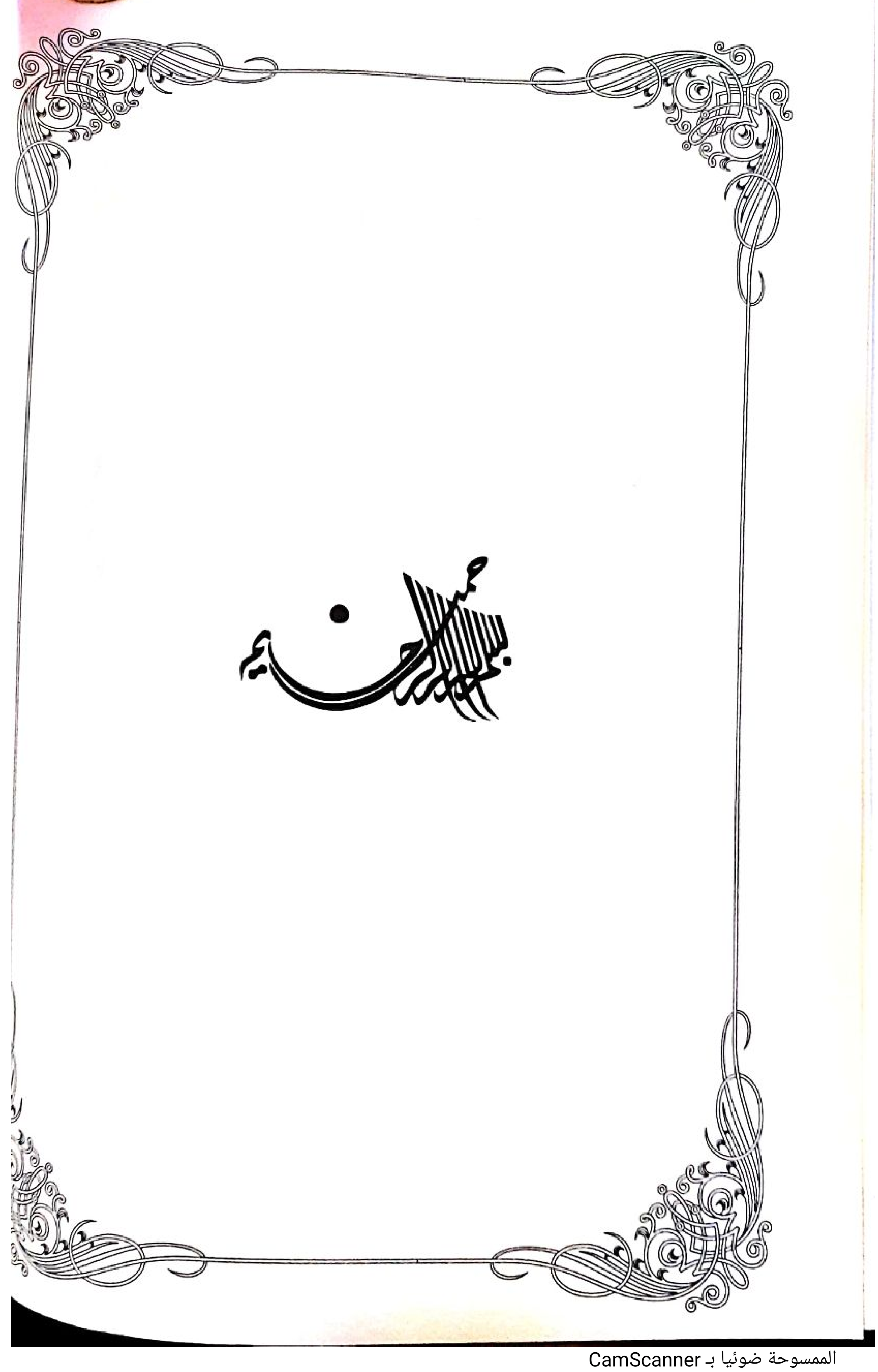
عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الإسكندراني

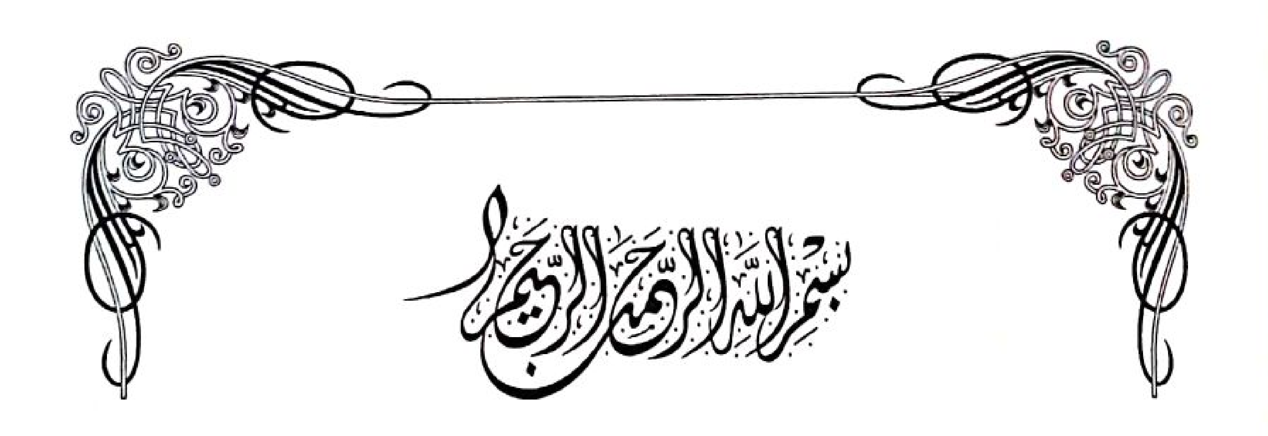
عُني بنشرها

الطبيب محمد جميل الخاني

تلميذ المؤلف

دار المقتبس


بسم الله الرحمن الرحيم

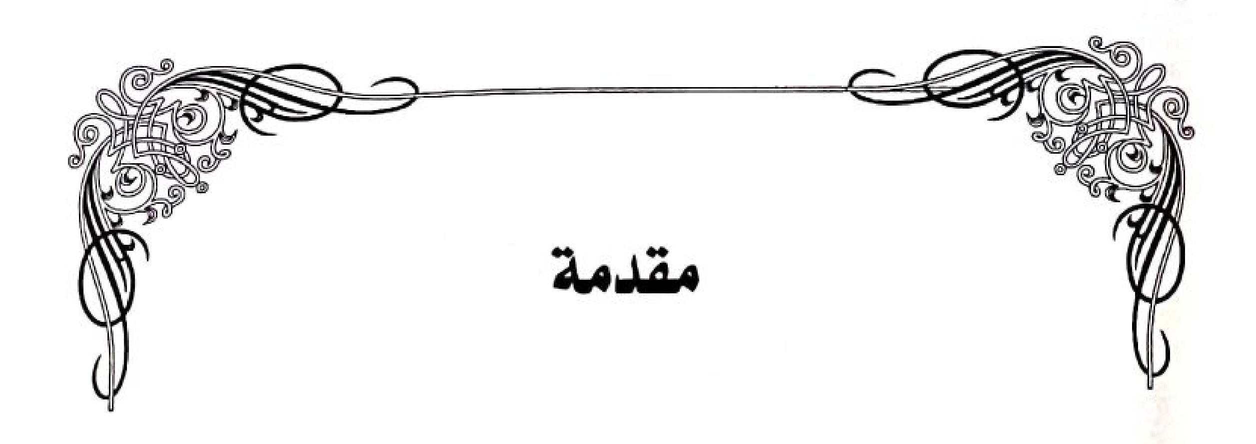


الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه خيرة خلق الله.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير الفاني عبد القادر الشهير بالاسكندراني: هذه رسالة مختصرة في فن الحكمة جمعتها لمن يريد أن يقف على شيء من مبادئ الفلسفة من صغار الطلبة؛ ليتوصل بها إلى الاطلاع على المطولات، راجياً منه تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كل من يطالعها بقلب سليم، فأقول وبالله أستعين:

❑❑❑



مقدمة

اعلم وفقك الله تعالى: أن علم الحكمة عرَّفوه بأنه علم بأحوال الموجودات، على ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية سواء كانت الموجودات أعياناً أو معقولات، والواضع له آدم عليه السلام بوحي من ربه، كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦٩]، ثم إدريس عليه السلام إلى أن وصل إلى الحكيم الفيلسوف أرسطو، فوضع له قوانين ودونها، وزاد فيه فنسب وضعه إليه، وفائدته معرفة الأجسام الطبيعية وأحوالها، وغايته تكميل النفس في قوتها، وحكمه جواز تعلمه لكامل القريحة، الممارس للكتاب والسنة؛ ليهتدي به إلى الصواب، وموضوعه الجسم الطبيعي من حيث أنه صالح للحركة والسكون، أو من حيث اشتماله على قوة التغيير.

وهو قسمان: حكمة نظرية، وحكمة عملية.

فالأولى: عرَّفوها بأنها علم بأحوال أمور ليس وجودها بقدرة العباد واختيارهم، كالعلم بواجب الوجود، والسماء والأرض، وغايتها: أن تستكمل القوة النظرية للنفس بحصول العلوم التصورية والتصديقية.

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: طبيعية ورياضية وإلهية.

(فالحكمة الطبيعية): هي علمٌ بأحـــوال أمــور تفتقر في الوجود

الخارجي والذهني إلى المادة، كالعلم بأن الهواء يتكون ويفسد، وأن الفلك متحرك على الاستدراة.

(والحكمة الرياضية): هي علمٌ بأحوال أمور تفتقر إلى المادة في الوجود الخارجي دون الذهني، كالعلم بأن كل مثلث زواياه الثلاث متساوية لقائمتين، وهي منحصرة في أربعة أقسام: الحساب، والهندسة، والهيئة، والموسيقى، فعلم الحساب يتوصل به إلى استخراج المجهولات العددية، وعلم الهندسة يتوصل به إلى معرفة أحوال المقادير كالخط والسطح، والجسم التعليمي، وما يعرض لها، وعلم الهيئة ما يتوصل به إلى معرفة تعيين الأشكال للأفلاك، وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من الكواكب السيارة، وعلم الموسيقى يعرف به نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض.

وأما الحكمة الإلهية: فهي عبارة عن العلم بأن واجب الوجود عز وجل قادر مريد، وأن الوجود من المفهومات العقلية، وأن المنطق قسم منها.

وأما الحكمة العملية: فهي العلم بأحوال أمور ينسب وجودها إلى قدرة العباد واختيارهم، كالعلم بحسن العدل، وقبح الظلم، وهي أقسام ثلاثة: العلم بتهذيب الأخلاق، والعلم بتدبير المنزل، والسياسة المدنية.

ثم الجسم يطلق بالاشتراك على معنيين: الجسم الطبيعي وهو الجوهر الطويل، العريض، العميق، المحسوس، وعلى الجسم التعليمي وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث، أعني: الطول والعرض والعمق.

وإنما سمي بذلك؛ لأنه موضوع للحالة التعليمية الرياضية فإنهم كانوا

يبتدؤون بها في تعليمهم ورياضتهم للنفوس؛ لأنها أسهل إدراكاً؛ لكونها علوماً منتظمة لا ينازع فيها الوهم العقل.

ثم إن العقل عرَّفوه بأنه جوهر مجرد عن المادة، متعلق بغيره تعلق تأثير، ومعنى تجرده عن المادة كونه غير جسم ولا جسماني؛ أي: غير مركب ولا داخل في الجسم، بل قائم بنفسه كالنفوس الناطقة.

وقد فرَّق الحكماء بين النفوس الناطقة والعقول: أن العقول غير مرتبطة بجسم، بخلاف النفوس فإن لها ارتباطاً به؛ لأنها مدبرة للأجسام، وكذا النفوس الفلكية القائمة بالفلك، فإن كل فلك له نفس ناطقة عندهم.

ثم إن العقول عند الحكماء عشرة أصلها العقل الأول، وعنه صدرت التسعة، وبيان ذلك: أن له اعتبارات ثلاثة: وجوده في نفسه، ووجوبه بالغير، وإمكانه لذاته.

فبالاعتبار الأول صدر عنه عقل ثان، وبالاعتبار الثاني صدر عنه النفس المجردة للفلك الأول، وبالاعتبار الثالث صدر عنه جسم هو الفلك الأول، ثم صدر عن العقل الثاني على هذا الوجه عقل ثالث، وفلك ثان، ونفس مجردة للفلك الثاني، وهكذا.. إلى أن انتهى إلى العقل العاشر الذي هو في مرتبة التاسع من الأفلاك، وهو فلك القمر، ويسمى العقل الفعال المؤثر في هيولى العالم السفلي، المفيض للصور والنقوش والأعراض، وهذه الأفلاك تسمى عند علماء الشريعة بالسموات السبع، والعرش، والكرسي.

ثم إن طالب علم الحكمة يحتاج إلى معرفة عشرة أشياء تسمى عند الفلاسفة بالمقولات العشر المنظومة في قول بعضهم:

عد المقولات في عشر سأنظمها في بيت شعر علا في رتبة نفلا
الجوهر الكم كيف والمضاف متى أين ووضع له أن ينفعل فعلا

وإنما سميت بالمقولات؛ لأنها كلي، وكل كلي يقال، أي: يحمل؛ لأن القول معناه الحمل عند المناطقة.

واختلف في حمل الجزئي؛ فمنعه بعضهم مدعياً: أن قول القائل هذا زيد، وإن كان المحمول جزئياً هو كلي تأويلاً؛ لأنه يؤول بمسمى زيد، والمسمى كلي لصدقه على زيد وغيره، وبعضهم أجازه بغير تأويل.

والمقصود بالمقولات في اصطلاحهم الأجناس العالية للموجودات أي: الممكنات، والأجناس جمع جنس، وهو أربعة أقسام:

جنس عالٍ، وهو الذي ليس فوقه جنس، وتحته أجناس كالجوهر.

ومتوسط وهو الذي فوقه جنس وتحته جنس كالجسم.

وسافل وهو الذي فوقه جنس وليس تحته جنس كالحيوان، فإن تحته أنواعاً.

وجنس منفرد، وهو الذي ليس فوقه جنس ولا تحته، ولم يجدوا له مثالاً، وبعضهم مثل له بالعقل بناء على أن الجوهر ليس جنساً له، وأن أفراد العقول العشرة المندرجة تحته أنواع.

ثم إن هذه المقولات العشرة قسمان:

أحدهما: جوهر وهو مقولة برأسها.

وثانيهما: عرض وهو التسعة الباقية:

١ـ الكم،

٢ ـ والكيف،

٣ ـ والأين،

٤ ـ والمتى،

٥ ـ والإضافة،

٦ ـ والملك،

٧ ـ والوضع،

٨ ـ وأن يفعل،

٩ ـ وأن ينفعل.

الجوهر عند أهل السنة: هو ما قام بذاته وهو قسمان:

ـ الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ.

ـ والثاني: الجسم المركب.

وعند الحكماء ماهية لو وجدت لكانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة: الهيولى، والصورة، والجسم، والنفس، والعقل؛ فإن كان محلاً لجوهر آخر فهو الهيولى، وإن كان حالاً في جوهر آخر فهو الصورة، وإن كان مركباً منهما فهو الجسم، وإن لم يكن محلاً ولا حالاً ولا مركباً منهما؛ فإن كان متعلقاً بالأجسام تعلق تدبير وتصرف فهو النفس، وإن تعلق بها تعلق تأثير فهو العقل.

والهيولى: هي العناصر الأربعة: التراب، والنار، والماء، والهواء.

ووجه حصر الجوهر عند المتكلمين في القسمين: أن كل جوهر متحيز، وكل متحيز إما أن يقبل القسمة فهو الجسم، أو لا فهو الجوهر الفرد.

ومعنى تحيزه: ثبوته بنفسه؛ أي: غير تابع لغيره، وهو أن يأخذ قدراً من الفراغ، ثم للجواهر أحكام كثيرة منها أنها قابلة للبقاء زمانين، ومنها أنها لا تتداخل على جهة النفوذ والملاقاة من غير زيادة في الحجم، ومنها تماثلها في الصفات النفسية كالتحيز والقيام بالنفس وقبول الأعراض.

ويجوز تباينها ـ أي: الجواهر ـ في صفات المعاني كالماء والنار.

ثم إن الأجسام لها خواص عامة وخاصة، فالعامة كالتحيز، وعدم التداخل، وقبول الانقسام، ووجود المسام، وقبول الحركة، والثقل، والخاصة كاللون المعين للصفرة.

وأما العرض؛ فعند أهل السنة هو ما قام بغيره بمعنى أنه يكون تحيزه تابعاً لتحيز غيره.

وعند الحكماء ماهية إذا وجدت في الخارج كانت في موضوع، وله أحكام كثيرة:

منها: أنه لا ينتقل من محل إلى محل آخر.

ومنها: أنه لا يقوم عرض بعرض آخر خلافاً للفلاسفة.

ومنها: أنه لا يبقى زمنين، وإليه ذهب الأشعري.

ومنها: أن العرض الواحد لا يقوم بمحلين.

والعرض قسمان عند أهل السنة: عرض مختص بالحي، وهو الكيفيات النفسانية، كالحياة والعلم والقدرة والإرادة، وعرض غير مختص بالحي، وهو الكيفيات المحسوسة كالأصوات والألوان والروائح، والأين، ويسمى كوناً.

والأكوان أربعة: الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق.

وأما عند الحكماء: فهو تسعة أقسام: الكم والكيف والأين والمتى والإضافة والملك والوضع والفعل والانفعال، وهذه التسعة قسمان: عرض نسبي وغير نسبي، فالأول ما يكون مفهومه معقولاً بالقياس إلى الغير، وهو سبعة: الأين والمتى والإضافة والوضع والملك والفعل والانفعال، والغير النسبي اثنان: الكم والكيف.

الكَمُّ: عرض يقبل القسمة والنسبة لذاته، والقسمة ثلاثة أنواع: وهمية، وفرضية، وفعلية، وينقسم الكم إلى قسمين: كم متصل، وكم منفصل.

فالأول: ما يمكن أن تفرض فيه أجزاء تتلاقى على حد واحد مشترك بين جزئين منها، وذلك الحد واقع بين مقدارين يكون هو بعينه نهاية لأحدهما وبداية للآخر، أو نهاية لهما هكذا:

بداية ـ بداية ـ بداية.

نهاية ـ نهاية ـ نهاية.

والآن بالنسبة إلى جزئي الزمان، وأما الكم المنفصل فما لم

يكن بين أجزائه حد مشترك وهو العدد كالعشرة إذا نصفتها يكون منتهى النصف الخامس، ومبدأ النصف الآخر السادس.

والحد المشترك يكون في الخط النقطةُ التي هي بداية لأحد جزئي الخط ونهاية للآخر. وفي السطح الخطُّ، وفي الجسم التعليمي السطح، والحد المشترك في الزمان الآن فإنه مشترك بين الماضي والمستقبل، ثم الكم المتصل قسمان: قار الذات، وغير قار الذات.

فالأول ما يجوز اجتماع أجزائه المفروضة في الوجود، وهو المقدار، وقار الذات ثلاثة أقسام: الجسم التعليمي، والسطح، والخط؛

لأنه إن انقسم المقدار في الجهات الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق فجسم تعليمي، وهو أتم المقادير؛ لأنه يبحث عنه في التعاليم؛ أي: الرياضات، أو في جهتين فسطح، أو في جهة واحدة فخط.

والثاني (غير قار الذات): هو ما لا يجوز اجتماع أجزائه المفروضة في الوجود، وهو الزمان، فإن وجود أجزائه على سبيل التعاقب والتوالي فيوجد الجزء الثاني بعد انعدام الأول.

والزمان عند الحكماء: مقدار حركة الفلك، وعند المتكلمين: مقارنة متجدد معلوم لآخر مجهول.

وأما الكيف: فهو عرض لا يقبل القسمة ولا النسبة لذاته، وأقسامه عند الحكماء أربعة: كيفيات محسوسة،

٢ ـ وكيفيات نفسانية،

٣ ـ وكيفيات مختصة بالكميات،

٤ ـ وكيفيات استعدادية.

فالأولى: ما تكون محسوسة بإحدى الحواس الخمس الظاهرة كالألوان والأصوات والروائح والحلاوة والحرارة.

والثانية: هي المختصة بذوات الأنفس كالقدرة والإرادة والحياة والصحة والكتابة.

والثالثة: نوعان:

متصلة: كالمثلثية؛ أي: الهيئة الحاصلة من التثليث القائمة بالشكل المثلث، فالمثلث كم، والهيئة كيف.

ومنفصلة: كالزوجية، فالوحدات الأربعة كم منفصل وهيئة اجتماعها كيف.

والرابعة: كيفيات مقتضية تهيأً واستعداداً لقبول أثر ما بسهولة كاللين، وتسمى ضعفاً، أو للدفع وعدم القبول كالصلابة، وتسمى قوة طبيعية.

مقولة الأين والمتى

الأين: هو هيئة تحصل للجسم بالنسبة إلى المكان؛ أي: الحيز. والمكان، عند الحكماء: هو السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، والسطح عندهم: هو عرض حال في الجسم، متعلق بأطرافه دون أعماقه.

وأما المكان عند المتكلمين: فهو بُعْدٌ؛ أي: فراغ مفروض موهوم يشغله الجسم ويملؤه على سبيل التوهم.

وقد يطلق الأين على حصول الجسم في المكان، ويكون مملوءاً به، ويسمى هذا أيناً حقيقياً، ويطلق على ما ليس حقيقياً من أمكنة مثل الدار والبلد، ويسمى أيناً مجازياً؛ لوقوع كل منهما في جواب أين، والمتكلمون لا ينكرون الأين، بل يعترفون بوجوده ويسمونه كوناً، وإن أنكروا سائر الأعراض النسبية ويحصرونه في أربعة أنواع: الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق.

والمتى: هو عند الحكماء: جوهر مجرد عن المادة لا يقبل العدم لذاته، وقيل: الفلك الأعظم، وقيل: حركته، وقيل: مقدار حركته، وقد يقال عنه: حصول خص بالأزمان.

وعند الأشاعرة: هو أمر متجدد معلوم يقدر به متجدد موهوم إزالة

لإبهامه، وينقسم قسمين: حقيقي وهو كون الشيء في زمان لا يفضل عليه كالصوم لليوم، وإلى غير حقيقي، وهو بخلافه كالأسبوع والشهر، والزمان عند الفلاسفة مقدار الحركة المستديرة لا الحركة المستقيمة؛ لأنه عندهم قديم ودائم، والحركة المستقيمة إما من المركز أو إلى المركز.

وما من المركز ينقطع عند المحيط، وما إلى المركز ينقطع عند المركز؛ لتناهي الأبعاد، فلو كان الزمان مقدار الحركة المستقيمة للزم انقطاعه.

الحركة: هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج، وقيل: هي شغل حيز بعد أن كان في حيز آخر.

وعند الحكماء: هي كونان في آنين في مكانين، والسكون كونان في آنين في مكان واحد، وإن كان في اللغة عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك.

وقد قسموا الحركة إلى أقسام: حركة في الكم: وهي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى كالنمو والذبول.

وحركة في الكيف: وهي انتقال الجسم من كيفية إلى أخرى كتسخن الماء وتبرده، وتسمى هذه الحركة: استحالة.

وحركة في الأين: وهي حركة الجسم من مكان إلى مكان آخر، وتسمى نقلة، وحركة في الوضع، وهي الحركة المستديرة المنتقل بها الجسم من وضع إلى آخر، كما في حجر الرحى.

وحركة ذاتية: وهي ما يكون عروضها لذات الجسم نفسه.

وحركة عرضية: وهي ما يكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لشيء آخر بالحقيقة كجالس السفينة.

وحركة قسرية: وهي ما يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج

كالحجر المرمي إلى فوق.

وحركة إرادية: وهي ما لا يكون مبدؤها بسبب أمر خارج كالحركة الصادرة من الحيوان.

وحركة طبيعية: وهي ما لا يحصل بسبب أمر خارج كحركة الحجر إلى أسفل.

الاجتماع: تقارب أجسام بعضها إلى بعض، والافتراق: كون لجوهرين في حيزين بحيث يمكن التفاصل بينهما.

مقولة الإضافة

الإضافة: هي النسبة المتكررة بمعنى أنها نسبة تعقل بالقياس إلى نسبة أخرى كالأبوة بالنسبة إلى البنوة، ومن خواصها التكافؤ ـ؛ أي: التماثل ـ في لزوم الوجود بالقوة والفعل في الخارج والذهن، بمعنى أن كلاً من المتضايفين ملازم للآخر في الوجود.

مثال كونهما موجودين بالفعل: كون الشخصين أحدهما أب والآخر ابن، ومثالهما بالقوة: كون الشخصين بحيث يكون من شأن أحدهما التقدم، والآخر التأخر.

وأنواع التقدم خمسة: تقدم بالذات، وتقدم بالزمان، وتقدم بالعلية، وتقدم بالرتبة، وتقدم بالشرف.

فالأول: كتقدم ذات الأب على ذات الابن.

والثاني: كتقدم أجزاء الزمان على بعض.

والثالث: كتقدم الشمس على ضوءها.

والرابع: كتقدم الإمام على المأموم، أو الجنس على النوع.

والخامس: كتقدم العالم على الجاهل، وأما المعية فهي عبارة عن سلب التقدم والتأخر في المعنى الذي نسب إليه المتقدم والمتأخر.

مقولة الوضع

الوضع: هو هيئة تعرض للجسم تسبب نسبة بعض أجزائه إلى بعض، وإلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود والاستلقاء.

وقد يطلق بالاشتراك عند الحكماء على معنيين آخرين:

(الأول): كون الشيء مشاراً إليه إشارة حسية كالنقطة وهي طرف الخط.

(الثاني): ما يعرض للكم المتصل، وهو كونه بحيث يمكن أن يفرض له أجزاء متصلة على الثبات، ويشار إلى كل واحد منها فيقال: أين هو من الأجزاء، فيجاب: أنه مسامت له من جهة يمينه أو يساره.

مقولة المِلك

المِلك: هو هيئة تعرض للجسم بسبب ما يحيط به، وينتقل بانتقاله؛ أي: بانتقال الجسم المحاط سواء كان المحيط طبيعياً كإهاب، أو غير طبيعي كثوب.

والفرق بين الملك والأين مع أن كلاً منهما يتعلق بالمحيط: أن المحيط في الأين قد علم أنه المكان، فالمحيط به لا ينتقل بانتقال المحاط، وأن المحيط بالملك ينتقل بانتقال المحيط؛ فيصح أن يكون أمراً طبيعياً، وخلقاً كالإهاب للهرة، وأن يكون غير طبيعي كالقميص لجميع البدن، أو كالخاتم والعمامة والخف لبعضه.

مقولة أن يفعل

أن يفعل وهو الفعل: هو تأثير الشيء في غيره على اتصال غير قار كالمسخن ما دام يسخن فإن له حالة غير قارة هي التأثير في التسخين، وأما الحال الحاصل للفاعل قبل التأثير وبعد كقوة النار فيسمى إحراقاً، وربما كان المبدأ جوهراً كالجمر.

مقولة أن ينفعل

أن ينفعل وهو الانفعال: هو تأثير الشيء عن غيره على اتصال غير قار كتأثر المتسخن ما دام يتسخن، فإن له حينئذ حالة غير قارة، وهي التأثر التسخني الذي هو من مقولة الانفعال، فالانفعال إذن غير السخونة لبقائها بعد التسخن، بل السخونة أمر قار من مقولة الكيف، وكذلك الاحتراق القار في الثوب، والقطع المستقر في الخشب، واستعداد المحل للسخونة من مقولة الكيف، والله أعلم.

خاتمة

أنواع التقابل عند الحكماء أربعة: تقابل النقيضين، وتقابل الضدين، وتقابل العدم والملكة، وتقابل المتضايفين؛ فكل نوع من هذه الأنواع الأربعة لا يمكن الاجتماع فيه بين الطرفين.

أما النقيضان: فهما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف، لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون.

وأما الضدان: فهما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان، وقد يرتفعان كالبياض مع السواد.

وأما تقابل العدم والملكة: فهما ثبوت أمر ونفيه عما من شأنه أن

يتصف به كالبصر والعمى، فالبصر وجودي وهي الملكة، إذ قد عرَّفوها بأنها عبارة عن الأمر الوجوي القائم بالشيء.

والعمى: نفيه عما من شأنه أن يتصف بالبصر، ولهذا لا يقال للحافظ أنه أعمى، فالعدم والملكة يجتمعان في الذهن فقط دون الخارج؛ فإنه بينهما معاندة فيه.

وأما تقابل المتضايفين فهما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف، ويتوقف تعقل أحدهما على الآخر كالأبوة والبنوة، وكذلك النسب الواقعة بين الماهيات، وهي أربعة: الترادف، والتباين، والعموم، والخصوص المطلق، والعموم والخصوص الوجهي.

(فالترادف): ما يصدق كل منهما على ما يصدق عليه الآخر كالإنسان والناطق.

(التباين): هو ما لا يصدق شيء منهما على شيء مما يصدق عليه الآخر كالإنسان والفرس.

العموم والخصوص المطلق: أن يصدق أحد الشيئين على جميع ما يصدق عليه الآخر من غير عكس كالحيوان والإنسان.

العموم والخصوص من وجه: أن يصدق أحد الشيئين على بعض ما يصدق عليه الآخر فقط كالحيوان والأبيض.

ويجمل بنا أن نذكر شيئاً يسيراً من الفلسفة النفسية إتماماً للفائدة فنقول: من أراد الخوض في غمارها يلزمه أن يقف على حد علم النفس وتقسيمه، وما هي النفس ومحلها وارتباطها بالجسم وأوصافها ولوازمها وأحوالها الداخلية، ووجودها.

أما حده؛ فهو ما يبحث فيه عن ماهية النفس وأحوالها العمومية، وبعبارة أخرى: ما يبحث فيه عن أعمال النفس من جهة نشأتها وتقدمها وتكوينها.

وينقسم إلى قسمين: قسم يبيِّن ظواهر أعمال النفس ويضع لها قوانين وقواعد مخصوصة، ويسمى: علم النفس التجريبي.

وقسم يحد ماهية النفس، ويبيِّن نسبتها إلى العالم الظاهري من وجودها، والتغيرات التي تطرأ عليها، وارتباطها بالجسم بالزمان والمكان، ويسمى علم النفس العقلي، ولا يتم هذا العلم إلا بمساعدة علم ما وراء المادة.

وأما ماهية النفس؛ فقد اختلفت الآراء فيها فمنهم من قال: أنها معروفة مستدلاً بأن الأحوال الداخلية من شعور وإحساس وتصور وإدراك يعتبر كمرأة تشاهد فيها طبيعتها وماهيتها.

وأما فلاسفة المسلمين فعرفوها بأنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن.

وعرفها بعضهم: بأنها ماهية عارفة مفكرة بسيطة.

وقال بعضهم: أنها غير معروفة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[الإسراء: ٨٥].

وأما محلها؛ فقد اختلف فيه أيضاً فقيل: لا يعرف مقرها، وقيل: مقرها في البطن، وقيل: في القلب، وقيل: بقرب القلب.

وقال بعض الفلاسفة: إن محلها الجسم، وزعموا أن نسبة النفس إلى الجسم كنسبة القادر إلى هذا العالم الظاهري، وأن تأثيرها على بقية أجزاء الجسم بواسطة الأعصاب.

(وأما ارتباطها): بالجسم فهو ارتباط تدبير وتصرف، لا ارتباط تأثير، وهو مذهب فلسفي.

(وأما أوصافها): فكثيرة منها: عدم قابليتها للتجزئة، ومنها: غير ناشئة عن مادة.

(وأما لوازمها): أي: أحوالها الداخلية؛ فهي الشعور، والتصور، والإحساس، والإرادة، والتعقل، والانتباه، والتذكر، والتخيل وغير ذلك، ولا تصل النفس إلى حقائق الأشياء إلا بالشعور، وهو الرؤيا والسمع، وهو مبتني على أمرين:

١ ـ التأثير الخارجي.

٢ ـ والتهيج العصبي.

(وأما وجودها): فإنه لما قام الدليل بأنه لا يمكن وجود صفة بدون موصوف، ولا حركة بدون متحرك، كذلك لا يمكن كون العالم الداخلي عبارة عن مجرد التصورات والإحساسات، بل لا بد من وجود أمر آخر ينسب إليه هذا العالم الداخلي وهو النفس.

وأما الفرق بينها وبين الروح: فإنه قبل تعلقها بالجسم يقال لها روح، وبعد تعلقها به يقال لها: نفس فهما شيء واحد، وإنما الفرق بينهما اعتباري.

وأما مراتب النفس فجعلها السادة الصوفية سبعة:

١ ـ أمارة،

٢ ـ ولوامة،

٣ ـ وملهمة،

٤ ـ ومطمئنة،

٥ ـ وراضية،

٦ ـ ومرضية،

٨ ـ وكاملة،

كما جاءت الآيات القرآنية مفصحة عن ذلك، والإنسان إنسان بنفسه.

ولله در القائل:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح فيما فيه خسران

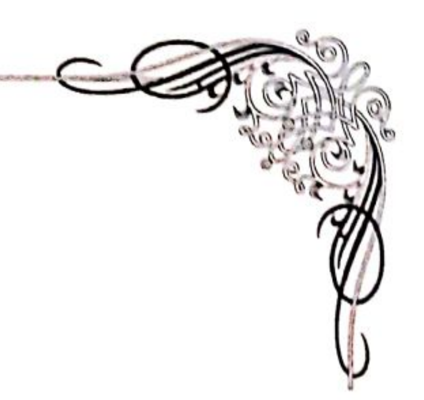
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

ولكن هذا آخر ما أوردته في هذه الرسالة الموجزة، أسأله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كل من طالعها من أهل الإيمان واليقين، ورجائي الوطيد: الدعاء لي بالمغفرة من إخواني المسلمين.

كان الفراغ من تأليفها في يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الثاني سنة ١٣٥٢هـ.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

❑❑❑

الفهرس

❐❐❐